جالوت[1]

اسم ملك الفلسطينيين الوثنى إبان بنوة داود ـ عليه السلام ـ .

وقد جاء ذكره ثلاث مرات فى سورة البقرة، وجالوت هو: ما يعرف باسم جليات فى التوراة، وكان رجلاً قويًا شديد البأس، وتذكر الرواية: أن الفلسطينيين أخذوا تابوت العهد من بنى إسرائيل بعد هزيمتهم، ثم إن الله اختار [طالوت] وهو [شاول بن قيس من سبط بنيامين]، ملكاً عليهم، فجمع الجنود لقتال جالوت والفلسطينيين فلم يتبعه سوى قليل منهم؛ خوفاً وجبناً.

وكان من بين رجال طالوت: داود؛ الذى خرج لقتال جالوت، وقضى عليه بمقلاعه، وتشير الآية بقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى**

---

(١) تفسير القرطبى (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥)، ط. دار الحديث، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (١/ ٥٥٨)، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٣٩٥، ٣٩٦، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٧٠)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ١٠٣.

الْعالمين (٢٥١) ﴾ [البقرة].

وقد جاءت قصة جالوت فى سفر صمويل من الإصحاح الثامن.

وذُكِر اسم جالوت فى القرآن فى (البقرة: ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

وبموت جالوت، انتصر بنو إسرائيل على عدوهم، وتزوج داود ابنه طالوت وتسير الأحداث حتى يصبح داود ملكاً على بنى إسرائيل ثم يؤتيه الله النبوة بعد الحكم.

الآيات الواردة فى ذكر جالوت:

فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

* * *

جبريل[1]

جبريل أو جبرائيل: اسم ملك الوحى، أمين وحى السماء، وهو أقرب ملائكة الله المقربين لديه، وهو روح القدس الذى يرسله ـ سبحانه ـ إلى رسله لتبليغ رسالاتهم، ويسمَّى: «الروح الأمين»، وبـ «روح القدس»؛ لطهارته وتنزهه عن مخالفة ربه.

وسُمِّى جبريل روحاً وأُضيف إلى القُدُس؛ لأنه كان بتكوين الله ـ عز وجل ـ له روحاً من غير ولادة والدٍ وَلَدَه.

والقُدُس: الطهارة.

وقال الماوردى: إن جبريل وميكائيل اسمان، أحدهما: عبد الله، والآخر: عُبيد الله؛ لأن «إيل» هو الله تعالى، وجبر: هو عبد، و«ميكا» هو: عبيد، فكان جبريل: عبد الله، وميكايل: عبيد الله، هذا قول ابن عباس.

وهى أسماء أعجمية، وليس له فى المفسرين مخالف.

وقال الطبرى: جبريل اسم أعجمى عرّبته العرب، ولها فيه لغات؛ منها: جَبْريل ـ بفتح الجيم، جبرئيل (بياء بعد

---

(١) تفسير القرطبى ٢٠/ ٤٠، ٤٢)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ٩٥، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عبّودى، ص ٣٠٤، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (١/ ٥٧٦، ٥٧٧).

الهمزة)، وجَبْرئل على وزن (جبرعيل)، جبرائل ـ بألف بعد الراء ثم همزة، وجبريل بياءين بغير همزة.

وقد نزل اسم جبريل نصاً ولفظاً في القرآن في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

وفي التوراة: يطلق جبريل على الملاك الذي بشّر زكريا بولادة يوحنا المعمدان وبشّر مريم بولادة المسيح، وعندهم هو لفظ عبري معناه: «رجل ايل»، أو: «رجل الله».

* * *

حنين[1]

يجوز أن يكون اسم حُنَيْن تصغير الحَنَان، وهو الرحمة، تصغير رحيم، ويجوز أن يكون تصغير الحِنّ، وهو حيّ من الجن.

وقال السُّهَيْلِيّ: سُمِّيَ بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق؛ حكاه عن أبى عبيد البكرى.

وهو اليوم الذى ذكره جلّ وعز فى كتابه الكريم: وهو قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: وادٍ بجنب ذى المجاز.

قال الواقدى: بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، وهو يُذَكّر ويُؤنَّث، فإن قصدنا به البلد ذُكِّرَ.

ذكرت حنين فى القرآن مرة واحدة فى سورة التوبة، فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ**﴾ [**التوبة**: ٢٥].

---

(١) تفسير القرطبى (٨/ ٩٢ ـ ٩٦)، ومعجم البلدان، لياقوت الحموى (٢/ ٣١٣)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ص ١٣٩، ومجمع بحار الأنوار، للكجراتى (١/ ٥٩٦)، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٧٢).

وحنين: وادٍ بين مكة والطائف، حدثت فيه غزوة تُعرف بـ «غزوة هوازن وثقيف»، وكانت فى شوال عقب رمضان الذى وقع فيه فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وكان عدد المسلمين اثنى عشر ألفاً، وعدد الكفار أربعة آلاف.

وسبب هذه الغزوة: أنه عندما سمعت قبيلة هوازن وثقيف أن المسلمين فتحوا مكة، ثارت هواجسهم وخافوا أن يفاجئهم الغزو أيضاً، فجمعوا جيشاً لقتال المسلمين، وسمع النبى ﷺ بخبرهم، فسار إليهم بجيشه الكبير من المهاجرين والأنصار، ونزل جيش المشركين فى وادى حنين.

وفى الفجر - والمسلمون يتقدمون للقتال - باغتهم العدو من شعب هذا الوادى، فاختلّ نظامهم واضطرب جيشهم، وكانت لحظات حرجة استطاع النبى ﷺ خلالها أن يجمعهم بعد تفرقهم، وحمل بهم على أعدائه، وهزمهم بعد جهد وعناء.

وكانت غزوة حنين درساً للمسلمين الذين اغتر بعضهم بكثرة عددهم، ونسوا أن النصر من عند الله يؤتيه من يشاء.

* * *

الحواريون[1]

جمع حوارى، وهو: الصاحب والناصر والرفيق، ومن ثم عرف تلاميذ المسيح الاثنى عشر بالحواريين.

وقد وردت كلمة الحواريين فى خمسة مواضع من القرآن، تشير جميعها إلى تلاميذ المسيح.

قال تعالى فى سورة آل عمران [٥٢]: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾.

وفى سورة المائدة [١١٢]: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

وفى سورة الصف [١٤]: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾.

وكذلك جاء اسم الحواريين فى بعض الأحاديث النبوية، مشيرة إلى جماعة من حماة الدعوة من الأنصار، فبعد أن تَمَّت بيعة العقبة الثانية، اختار المبايعون من الأنصار خمسة وسبعين عضواً من رجال ونساء الأنصار ليكونوا نقباء عنهم.

وقال لهم الرسول ﷺ: «أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُم بِمَا فِيهِم كفَلاء ككَفَالَةِ الحواريين لعيسى ابن مريم، وأَنَا كَفِيلٌ عَلَى

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٢٠)، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عبّودى، ص ٣٧٤، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (٢/ ١٧٦)، ودائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدى (٣/ ٦٤٧)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

قَوْمِي فأجابه النقباء وبايعوا على ذلك».

وروى عنه ﷺ: «الزبير ابن العوام ابن عمتي وحواريَّ من أمَّتي».

والحواريُّون: لفظة حبشية، معناها: الرسل. ودخلت اللغة العربية بدخول الحبشة إلى اليمن، تلقاها عرب الحجاز عن أهل نجران، واستُعملت بمعنى: الصاحب، والناصر، والرفيق.

وتأويل الحواريين في اللغة: الذين أُخلصُوا ونُقُّوا من كل عيب، وهم الصَّفوة، وكُلّ مبالغ في نُصْرَة آخر حَوَارِي، وخصَّ هذا اللفظ بأنصار الأنبياء؛ كأصحاب عيسى ـ عليه السلام ـ، وكابن الزبير حواريّ الرسول ﷺ ـ كما سبق القول ـ.

الآيات الواردة في الحواريين:

في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

* * *

داود[1]

هو: داود بن إيشا بن عُويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عُوينادب بن إرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه ـ ﷺ.

ظل بنو إسرائيل بعد نبيهم موسى ـ ﷺ ـ ٣٥٦ سنة ليس لهم ملك يحكمهم، وفى خلال هذه المدة كانوا عرضة لغزوات جيرانهم من العمالقة والآراميين والفلسطينيين.

وفى هذه المدة، حكمهم طالوت (شاول) ودخل فى حرب ضد الفلسطينيين الذين هم ضمن الأجناس البحرية التى جاءت من بحر إيجة وسيطروا على الإقليم الساحلى واستطاعوا أن يهزموا العبرانيين.

وفى هذه الأثناء، ظهر شاب متحمس وهو «داود»، واستطاع ـ على حداثة سنّه ـ أن يقتل جالوت الفلسطينى فكافأه طالوت بأن زوّجه ابنته، وزادت زعامته، وآتاه الله الملك

---

(١) تفسير القرطبى (٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٦)، ط. دار الحديث، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٣٩٧ ـ ٤٠٧، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (٣/ ٣٣٥)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ١٧٩، ومعجم الحضارات السامية، هنرى. س عبّودى، ص ٣٩٤، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٤/ ٦٤)، والموسوعة القرآنية لإبراهيم الإبياري، وعبد الصبور مرزوق، المجلد الخامس.

والنبوَّة، وأصبح ملكاً على العبرانيين بعد طالوت.

وقد اتخذ أورشليم عاصة لمملكته التى اتسعت لدرجة كبيرة، وأنزل الله عليه الزبور، وهو عبارة عن ترانيم وتسابيح ومحامد وتمجيد لله تعالى والثناء عليه، وكان يرددها بصوته الجميل، وكانت تردد معه الجبال والطير، وعرفت بالمزامير، وعلمه ربه صنعة لبوس للحرب، ولين الله له الحديد، وقد رزق داود بولده سليمان، فكان معه فى مجلس القضاء يعلمه كيف يحكم بين الناس وهو شاب فى الثامنة عشرة.

وورد اسم نبىّ الله داود فى ١٦ موضعاً من القرآن، هى: (البقرة ٢٥١، والنساء: ١٦٣، والمائدة: ٧٨، والأنعام: ٨٤، والإسراء: ٥٥، والأنبياء: ٧٨، ٧٩، والنمل: ١٥، ١٦، وسبأ: ١٠، ١٣، وص: ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣٠).

وقد أعطاه الله النبوة والملك مدة أربعين عاماً، أمضى منها سبعة أعوام ملكاً على سبط يهوذا وعلى إسرائيل، ثم ثلاثة وثلاثين عاماً ملكاً لجميع اليهود.

وقيل: إن الملك لداود ـ عليه السلام ـ عاش أعواماً طوالاً يعانى من صراع مرير بينه وبين الملك الذى كان قبله وهو شاول بن قيس بن أبيل الذى سماه القرآن الكريم «طالوت».

وتبدأ الأحداث فى قصة داود بالفترة التى قامت فيها الحرب بين العبرانيين الذين كان طالوت (شاول) ملكاً عليهم يحاربون تحت لوائه، وبين الفلسطينيين الذين كان يقودهم

جالوت (جوليات).

فى هذه الحرب، لم يكن الخارجون مع طالوت من العبرانيين متحمسين للقتال ولا مؤمنين بالنصر فيه، وكان فزعهم من عدوهم أكبر من احتمال الكثيرين منهم، وعندما أشرفوا على أرض المعركة بعد التعب الشديد، حاول طالوت أن يختبرهم، فقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وهذا معناه: خور العزيمة، وإعلان النكوص عن الحرب من جانب أكثرية هذا الجيش.. الذين روى القرآن الكريم أنهم قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وتكرر من بنى إسرائيل هنا ما حدث منهم من قبل مع موسى - عليه السلام - حين قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ [المائدة].

أمَّا البقية القليلة المؤمنة، فقد مضت مع طالوت (شاول) إلى القتال مستهينين بخطر العدو غير يائسين بسبب قلة عددهم. ويصور القرآن حال هؤلاء فى قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾ [البقرة].

فى هذا الجو الباعث على اليأس والمحطم لروح الجيش، بعثت الأقدار داود، ذلك الصبى الصغير الذى كان يرعى الغنم

وأتيح له أن يكون فى أرض المعركة لا ليحارب أصلاً، ولكن ليسأل عن إخوته الذين كانوا مع المحاربين ويعود إلى أبيه بخبرهم.

وحين التقى الجمعان، برز جالوت قائد الفلسطينيين وطلب المبارزة، وما من أحد يجرؤ على التعرض له؛ خشية بأسه، وفزعاً من قوته وهيبته.

عندئذ، تقدم داود، هذا الراعى الشاب، وسأل: ماذا يكون عندكم من يبارز قائد الأعداء ويهزمه؟ قالوا: يتزوج ابنة الملك، ويظفر بأعظم الجوائز ويصبح بيت أبيه حراً فى إسرائيل.

وتقدم داود، واستطاع فى سرعة مذهلة أن يصرع جالوت.. القائد المرهوب، ويقضى عليه، وكما يقرر القرآن الكريم أنهم: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٠، ٢٥١].

ومنذ أحرز داود هذا الانتصار الكبير، اتجهت إليه آمال العبرانيين وتعلقت به قلوبهم؛ الأمر الذى أحفظ عليه قلب طالوت (شاول)، وحرّك فى نفسه دوافع الغيرة والرغبة فى الخلاص منه، فعزم بالفعل على الفتك به، ولذا ولاّه قيادة الحرب ضد الفلسطينيين لعلهم يخلصوه منه، ولكن النصر كان

على الدوام محالفه، فحاول طالوت (شاول) الإيقاع به عن طريق جنده ورجاله، فلم يكن. فَهَمَّ باغتياله فى غير ميادين القتال وكان على وشك النجاح فى ذلك، لولا أن أنذرت داود زوجته فهرب فى الوقت الملائم.

وتقول الروايات: إن داود ـ على الرغم من علمه بما كان يدبّر له الملك ـ لم يكن يبادله الحقد ومحاولة الخيانة، بل أكثر من هـذا، كان لا يقصر فى النكاية بأعداء الملك (طالوت).

وأثناء هرب داود من وجه الملك، أمكنته الفرصة منه غير مرة، ولكنه لم ينتقم منه، فقد حدث أثناء إقامة داود هرباً فى البرية أن اختبأ ومعه بعض رجاله فى كهف، فجاء الملك (طالوت) ورجاله وناموا فى نفس الكهف، وهم يبحثون عن داود وكانت الفرصة سانحة أمام داود ليقتله، ومع إغراء بعض رجاله لم يفعل، وإنّما اكتفى فقط بأن يقطع جزءاً من جبة طالوت الملك ليشعره أنه كان قادراً على قتله، ولكنه لم يفعل.

وتكرر الموقف مرة أخرى، وأخذ داود رمح الملك وكان يستطيع أن يقتله، ولكنه لم يفعل، ومع هذا بقى بنفس طالوت ما بها من حقد.. مما حدا بداود إلى الانحياز إلى صف أعدائه من الفلسطينيين بعيداً عن وجه الملك.

وشاءت الأقدار أن تكون الحرب بين طالوت وبين الفلسطينيين، ولكن داود لم يشترك فيها؛ لأن الفلسطينيين لم يطمئنوا إليه. وفى هذه الحرب، انهزم طالوت وتمزّق جيشه

وقُتِل، وجلا العبرانيون عن كل المدن التى كانوا يحتلونها، واستولى الفلسطينيون عليها، وحين علم داود بما كان من أمر هذه الهزيمة، صعد إلى مدينة الخليل، ولحق به رجال يهوذا وأقاموه ملكاً عليهم.

ثم دان له بقية إسرائيل بالطاعة بعدما هزم قائدهم وملكوه عليهم فى «حبرون»، ثم انتقل بعد ذلك إلى حصن صهيون وسماه مدينة «داود» وصار بهذا ملكاً على جميع إسرائيل.

وبعد هذا، توالت حروبه أو فتوحاته التى وسَّعت حدود ملكه، حتى شملت ما بين خليج العقبة إلى نهر الفرات.

وقد ذكر القرآن الكريم ما اختص به الله عبده داود، من الفضل؛ كأن ترجع الجبال والطير تسبيحه إذا سبح، وكأن يلين الحديد بين يديه ليشكله كما شاء دروعاً سابغات، ثم تأييد الله لملكه وإتياؤه الحكمة وفصل الخطاب.

ومع هذه العناية التى أسبغت على داود، فإن فى سيرته ما يقف المفسرون والمؤرخون أمامه باحثين عن تفسير.

من ذلك: ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى فى سورة (ص) [٢١ ـ ٢٤]: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ**

بسُؤَالِ نعْجتكَ إِلَىٰ نعَاجه وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾.

فبعض القائلين فى هذا يقولون:

إن داود نظر وهو يمشى على سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها ثم جىء بها إليه، فاجتمع بها وحملت منه.. ولكن يتفادى الموقف مع زوجها وكان اسمه «أوربا» الذى كان يحارب تحت راية داود.. أمر به أن يبعث إلى جبهة القتال وأن يصدر فى الصفوف الأولى حاملاً الراية، لعله يقتل وينتهى الأمر، وبالفعل قُتِلَ الرجل.

هذا ما يُقال.. وإنا لنرفض هنا أن نكون مع الخائضين فى سيرة نبىّ. ونصرف ما أشار إليه القرآن الكريم إلى ما صرفه إليه بعض المفسرين من أنه كان نهباً لداود ـ عليه السلام ـ عن مجرد أن تطمح نفسه إلى ما فى أيدى الآخرين وتذكيراً له بضرورة القناعة والرضا بما هو فيه من خير.. ولعلّ ما فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر صمويل، والإصحاح الثالث من الملوك الأول، والإصحاح السادس من أخبار الأيام الثانى من ثناء على داود بطريق مباشرة وغير مباشرة، يؤيدنا فيما ارتضيناه.

الآيات الواردة فى ذكر داود ـ عليه السلام ـ:

قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ

اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) ﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) ﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) ﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) ﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥) ﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) ﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) ﴾ [الأنبياء].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) ﴾ [النمل].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾ [النمل].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) ﴾ [سبأ].

وقوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ].

وقوله تعالى: ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) ﴾ [ص].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) ﴾ [ص].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ

وإنَّ كثيراً من الخُلطاء ليَبْغي بعْضُهُمْ على بعْضٍ إلاَّ الَّذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحات وقَليلٌ مَّا هُمْ وظَنَّ داوُودُ أنَّما فتنَّاهُ فاستغْفرَ ربَّهُ وخرَّ راكعاً وأناب (٢٤) ﴾ [ص].

وقوله تعالى: ﴿يا داوُودُ إنَّا جعلْناك خليفةً في الأرْضِ فاحْكُم بيْنَ النَّاسِ بالْحقِّ ولا تتَّبعِ الْهوَى فيُضلَّكَ عن سَبيلِ اللَّه إنَّ الَّذين يَضلُّونَ عن سَبيلِ اللَّهِ لَهُمْ عذَابٌ شَديدٌ بما نسُوا يوْمَ الْحسابِ (٢٦) ﴾ [ص].

* * *

ذو القرنين[1]

ذو القرنين: من الأعلام التى ورد ذكرها فى القرآن، وذلك فى ثلاث مواضع جميعها فى سورة الكهف.

قال ابن إسحاق: إنه كان من أهل مصر اسمه «مرزبان بن مردبة اليونانى» من ولد يونان بن يافث بن نوح.

وقال ابن هشام: اسمه «الإسكندر»، وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه. وسُئل عنه رسول الله ﷺ، فقال: «**ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب**».

وقال السُّهَيْلِىّ: إنَّهما اثنان: أحدهما كان على عهد إبراهيم - عليه السلام -، والآخر كان قريباً من عهد عيسى - عليه السلام -.

وأما الاختلاف فى السبب الذى سُمِّىَ به، فقيل: إنه كان ذا ضفيرتين من شعر فسُمِّىَ بهما؛ [ذكره الثعلبى].

وقيل: إنه رأى فى أول ملكه كأنه قابض على قرنى الشمس، فسُمِّىَ بذى القرنين، وقيل: إنَّما سُمِّىَ بذلك؛ لأنه

---

(١) تفسير القرطبى (١١/ ٤٩ - ٥٢)، ط. دار الحديث، ومعجم الحضارات السامية، هنرى س. عَبّودى، ص ٤١٦، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ١٨٩، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (٢/ ٤٤٩)، والموسوعة العربية الميسّرة، لمحمد شفيق غربال (١/ ٨٤٧)، ط. دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

بلغ المغرب والمشرق فكأنه حاز قرنى الدنيا.

وبالجملة، فإن الله مكّنه ودانت له الملوك، فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: سليمان بن داود، وإسكندر، والكافران: نمرود، وبختنصر.

وعن السد الذى بناه، قيل: إنه فى جبال القوقاز؛ بناه ليحول دون تسرب القبائل الهمجية التى كانت فى السهول الشمالية، والتى سماها القرآن الكريم «يأجوج ومأجوج».

* * *

ذو الكفل[1]

اسم من أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم نصًا فى القرآن، قال تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾. ولم يرد اسم «ذى الكفل» سوى فى هذا الموضع. وفى سورة (ص)، وردت الإشارة إلى سيرته بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (٤٨)﴾.

وآثار هذا الاقتضاب خلافاً بين المفسّرين حول شخصية ذى الكفل، وفى رواية: أن ذا الكفل هو لقب ابن لنبى الله أيوب، يُقال له: بشرأ وبُشير، وفى رواية: أنه دفن بالقرية التى تعرف باسم «كفل حارث» بالقرب من نابلس الفلسطينية.

ويرى جمهور العلماء: أن ذا الكفل، كان عبداً صالحاً من بنى إسرائيل، ولم يكن نبياً.

وقد وردت فى شأنه أحاديث فى مسند الترمذى وغيره.

---

(١) تفسير القرطبى (١١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، ط. دار الحديث، القاهرة، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (٣/ ٤٥٠)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٤٥٦، ٤٥٧، والإتقان فى علوم القرآن، للسيوطى (٣/ ٦٥)، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

منها: ما يذكر أنه كان عاصياً لا يتورع من ذنب عمله ثم تاب توبة نصوحاً، ومات بعد توبته فى ليلته فغفر الله له.

ومنها: ما يذكر أنه كان خلفاً لنبى الله «اليسع» فى بنى إسرائيل حين كبرت سنه.

ومنها: ما يذكر أنه هو زكريا بكفالة مريم... إلى غير ذلك من الأقوال. والقول الأول أقرب أصوب.

وقيل: سُمِّيَ ذا الكفل؛ لأن الله تعالى تكفَّل له فى سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء الذين كانوا فى زمانه، والجمهور على أنه ليس بنبى. وقال الحسن: هو نبى قبل إلياس.

* * *

الرَّسّ[1]

بفتح أوّله، والتشديد: البئر، والرَّسّ: المعدن، والرس: إصلاح ما بين القوم.

قال أبو منصور: قال أبو إسحاق: الرس فى القرآن: بئر يروى أنهم قوم كذَّبوا نبيهم ورسّوه فى بئر؛ أى: دسُّوه فيها، قال: ويروى أن الرس قرية باليمامة يُقال لها: فلج، وروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود، وكلّ بئر رَسّ.

وكذلك الرَّسّ فى اللغة: أول مس الحمى، والرَّسّ: البئر المعقودة بالحجارة، وقيل: هى بئر معينة ينسب إليها أصحاب الرَّسّ الذين ألقوا نبيهم فى هذه البئر.

وقد ورد اسم أصحاب الرَّسّ مرتين فى القرآن الكريم مقروناً باسم ثمود.

والرَّسّ: الاسم الذى أطلقه العرب على نهر أراكس الذى يعتبر اليوم حدًا يفصل بين إيران وأرمينا وأذربيجان، وكان فى الماضى يمثل الحد الشمالى لولاية أذربيجان، ويلتقى نهر الرسّ

---

(١) تفسير القرطبى (١٣/ ٣٦، ٣٧)، والقاموس الإسلامى، لأحمد عطية الله (٢/ ٥١٦)، وقصص الأنبياء، لابن كثير، تحقيق الرشيدى، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨، ومعجم البلدان، لياقوت الحموى (٣/ ٤٣، ٤٤)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص ٢٠١، ٢٠٢.

قبيل مصبّه فى بحر قزوين بنهر الكرّ ويضمّان بينهما عدد من المواضع التاريخية.

وتذكر رواية أسطورية: أن بلاد هذا الإقليم كانت عامرة فى الماضى القديم، ثم اندثرت وتحولت إلى أطلال، وأن أهلها هم الذين ورد ذكرهم فى القرآن.

وتذكر رواية أخرى: أن أهل هذا الإقليم هم رهط جالوت الذى قتله داود ـ عليه السلام ـ .

وأورد ابن كثير قصة أصحاب الرسّ: أنهم قوم افتتنوا بشيطان يخاطبهم من وراء حجاب، فعبدوه، فأرسل الله لهم نبيًا كان يُسمَّى حنظلة بن صفوان، ينهاهم عن عبادة الشيطان ويأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له. فعدوا عليه فقتلوه وألقوه فى البئر، فغار ماؤها وعطشوا بعد ريّهم، ويبست أشجارهم، وانقطعت ثمارهم وخربت ديارهم، وهلكوا عن آخرهم، وسكن فى مساكنهم الجن والوحوش، فلا يسمع ببقاعهم إلا عزيف الجن وزئير الأسود وصوت الضباع.

* * *

الرقيم[1]

اسم ورد في موضع واحد في القرآن في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾.

واختلف الناس في الرقيم؛ فقال ابن عباس: كل شيء في القرآن أعلمه إلا أربعة: غِسْلين، وحَنَّان، والأوَّاه، والرقيم، وسُئل مرة عن الرقيم، فقال: زعم كعب أنها قرية خرجوا منها.

وقال مجاهد: الرقيم: واد. وقال السُّدي: الرقيم: الصخرة التي كانت على الكهف. وقال ابن زيد: الرقيم: كتاب غَمَّ الله علينا أمره، ولم يشرح لنا قصته.

وقيل: الرقيم: كتاب في لوح من نحاس، وقال ابن عباس: في لوح من رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فرَّ الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخاً لهم، وذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبيَّن من كانوا، وقال الفرَّاء: الرقيم: لوح من رصاح كتب فيه أسماؤهم وأنسابهم ودينهم وممن هربوا.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨)، والقاموس الإسلامي (٢/ ٥٦٢)، ولسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥١)، ومجمع بحار الأنوار، للكجراتي (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥).

وهذه الأقوال مأخوذة من الرَّقْم؛ ومنه كتاب مرقوم. ومنه الأرقم لتخطيطه، ومنه رَقْمه الوادى؛ أى: مكان جرى الماء وانعطافه، وقيل: إن مؤمنين كانا فى بيت الملك فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم فى لوح من رصاص ثم جعلاه فى تابوت من نحاس وجعلاه فى البنيان.

وعن ابن عباس أيضاً: الرقيم: كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذى تمسَّكُوا به من دين عيسى - ﷺ - .

وقال النقاش عن قتادة: الرقيم: دراهمهم، وقيل: كلبهم، وقيل: الرقيم: أصحاب الغار الذى انطبق عليهم، فذكر كل واحد منهم أصلح عمله. وقال الضحَّاك: الرقيم: قرية بالروم فيها غار فيه أحد وعشرون نفساً كأنهم نيام على هيئة أصحاب الكهف.

وقيل: الرقيم: واد فى فلسطين فيه الكهف مأخوذ من رقمه الوادى، وهى: موضع الماء.

* * *